

تفسير ابن كثير

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة ، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا ، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب ، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ؛ ولهذا قال : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي : لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئاً لغد ، (الله يرزقها وإياكم) أي : الله يقيض لها رزقها على ضعفها ، ويسره عليها ، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه ، حتى الذر في قرار الأرض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء ، قال الله تعالى : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) [هود : 6] . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي ، حدثنا يزيد - يعني ابن هارون - حدثنا الجراح بن منهال الجزري - هو أبو العطوف - عن الزهري ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل بعض حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال لي : " يا ابن عمر ، ما

لك لا تأكل ؟ " قال : قلت : لا أشتهيه يا رسول الله ، قال : " لكنني أشتهيه ، وهذه
صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك
قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبثون رزق سنتهم بضعف اليقين
؟ " . قال : فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله
يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله
لم يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات ، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة
بيد الله ، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ، ولا أخبئ رزقا لغد " . وهذا حديث غريب ،
وأبو العتوف الجزري ضعيف . وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض ،
خرجوا وهم بيض فإذا رأهم أبواهم كذلك ، نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش ، فيظل
الفرخ فاتحا فاه يتفقد أبويه ، فيقيض الله له طيرا صغارا كالبرغش فيغشاه فيتقوت منه
تلك الأيام حتى يسود ريشه ، والأبوان يتفقدانه كل وقت ، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا
عنه ، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفوا عليه بالحضانة والرزق ، ولهذا قال الشاعر : يا رازق
النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيضوقد قال الشافعي في جملة كلام له في

الأوامر كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - " سافروا تصحوا وترزقوا " . قال البيهقي

أخبرنا إمامنا أبو الحسن علي بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد ، أخبرنا محمد بن غالب ،

حدثني محمد بن سنان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن رداد - شيخ من أهل المدينة -

حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "

سافروا تصحوا وتغنموا " . قال : ورويناه عن ابن عباس . وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ،

حدثنا ابن لهيعة ، عن دراج ، عن عبد الرحمن بن حجيرة ، عن أبي هريرة قال : قال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " سافروا تريحوا ، وصوموا تصحوا ، واغزوا تغنموا "

. وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا ، وعن معاذ بن جبل موقوفا . وفي

لفظ : " سافروا مع ذوي الجدود والميسرة " وقوله تعالى : (وهو السميع العليم) أي :

السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم .